فلسطين.. ولبنان.. وأفغانستان!

١ ـ فلسطين... الانتفاضة

هناك ترابط قوي بين موضوع يتحدث عن فلسطين وآخر عن لبنان؛ لأن الأحداث القائمة اليوم هي التي جعلت من البلدين محط الأنظار على الصفحات الأولى من الصحف، والخبر الأول في محطات الإذاعة والتليفزيون وتعاقب الحديث عنهما ـ أولاً بأول ـ لدى وكالات الأنباء العالمية.

فلسطين تدخل عامها الثالث في مسيرة جهاد الشباب والأطفال والنساء الصغار والكبار ضد ذلكم المحتل الذي لا يزال يحاول كسب الوقت في الإطالة ببقائه على أرض فلسطين من خلال التوقف عند أي مشروع للسلام منذ مبادرات «وليام روجرز» مرورًا «بهنري كسينجر» إلى مبادرة وزير الخارجية الأمريكية الحالي «جيمس بيكر» وفي المقابل تعهد قادة اليهود بتقديم اقتراحات جديدة «للسلام» كآخر تقليعة ظهروا بها قبل كتابة هذه السطور.

هذا ـ اليوم لا يهم كثيرًا بقدر ما يهمنا ـ اليوم وغدًا ـ أولئكم الأطفال الذين يشكلون تحديًا حيًا قدموا فيه أرواحهم ثم أعضاء من أجسادهم؛ أرجلاً وسيقان وأيادي وأحيانًا قدموا العيون، وكانت الحصيلة أكثر من نصف الألف ممن ننتظر لهم الشهادة والآلاف من معوقي الانتفاضة.

إنهم يشكلون تحديًا يدخل عامه الثالث في الوقت الذي كان يتوقع فيه منذ بدء الانتفاضة ألا تتعدى الشهور ـ أو الأشهر على جمع القلة من الثلاثة إلى العشرة.

ذلكم التحدي الذي يهدد الميزانية اليهودية بملايين الدولارات يوميًا يجمعونها من أثرياء العالم الصهاينة، من يهود وغير يهود، من أولئكم الذين

نـذروا أنفسهم على أن يسهمـوا في القضـاء على المبـادئ والمثل والقيم التي تكفل عيش الإنسـان بسـلام وطمأنينـة وأمن ورخـاء فلم يجـدوا غيـر اليهـود يسهمون في محاولات زعزعة العالم، ومصائب قوم عند قوم فوائد.

لم يملك العالـم ـ ولا يملك ـ إلا أن يسجل إعجـابه وتقـديره وتعـاطفه مع هؤلاء الأطفال العزل إلا من العزيمة والتصميـم، يقارعون بهما جيشًا تهيأت له من سبل التقنيـة مـا لم يتهيأ لتلكم الـدول الكبـرى التي تصنع هـذه التقنيـة أو تمولها. هذا الإعجـاب كان ـ وسيكون ـ له الأثر المباشـر في تحديد المواقف من دولـة اليهود مهمـا بـان على السطح من أن دولة هنـا أو هنـاك قد أعـادت علاقاتها مع اليهود تمهيدًا إلى تنفيذ مشروع تهجير اليهود الأفارقة، الذي سبق له أن توقف لظروف لا يجهلها المطلعون.

لقد تأثـر الرأي العـام الغربي ـ وهـو الداعم الأول ـ للأسـاليب التي يتبعها الجيش اليهودي مع الأطفال مما حدا باليهود إلى الفوز بحملة على الإعلام في تلك الـدول جعلت أصحـاب القـرار هنـاك يملـون على وسـائل الإعـلام «المستقلة» عـدم نقل المزيـد من المشاهـد المباشرة غيـر الخاضعـة للرقـابة اليهودية.

وفي الثلاثـة الأشهر الأولى للانتفـاضة حصـر عدد المقالات في الصحـافة الأمريكية فقط فوصلت إلى أكثر من أربعمـائة «٤٠٠» مقالة، ولا تداخل بينها وبين مجرد إيراد الأخبار، **هذا في الوقت الذي يُقرر فيـه أن الصحافة العربية في الثلاثة الأشهر الأولى لم يزد ما كتبتـه عن الانتفاضة عن الأربعين «٤٠» مقالة، ومثل هذا الإطلاق يحتاج إلى استقراء ورصد للصحافـة العربية مقارنة بصحافة بلد واحد كالولايات المتحدة أو بريطـانيا أو فرنسا، الدول الثلاث ذات العلاقة المباشرة مع مجريات الأمور في فلسطين المحتلة، بالإضافة إلى الدول الكبرى الأخرى التي يهمها أن يكـون لها وجود وتمثيل في هذا الصراع الـذي يدفع ثمنه**

المواطن الفلسطيني ثم المواطن العربي، فالمواطن المسلم في كل مكان، ومع محاولات تحجيم القضية إلا أن أي مسلم لا يملك ــ وهذا قدره ــ أن يتنصل من مسؤوليته تجاه هذه القضية. فهل تحتاج منا الانتفاضة إلى أن نسجل لها شيئًا من الإعجاب؟ نحن ندعو الله لهؤلاء الشباب اليافعين بالنصر.

٢ ـ لبنان.. الاستقرار

وكتب الكثير عن لبنان، وفي الآونة الأخيرة تظهر في الصحف العربية وغير العربية «الملفات» عن لبنان، ذلكم أن ما جرى للبنان فاق الاحتمال، فما بالكم بالتصور، ولذا كان لا بد من الأخذ بأيدي اللبنانيين والوقوف معهم، نصرًا للمظلوم وتثبيطًا للظالم، وإن كان في النهاية لبنان كله مظلوم إذا قدرنا أنه استسلم لأيادٍ خفية، أرادت له أن يعيش الوضع الذي عاشه طيلة ما يزيد عن خمسة عشر عامًا هي في مجموعها تكوّن جيلاً لبنانيًا، كاد أن ينسى من مقومات الحياة أولياتها من الأمن والطمأنينة والسلام حتى رغيف العيش كان محفوفًا بالمخاطر، فكان لا بد للبنان أن يعمد إلى العودة إلى الاستقرار وبسط السيادة على أرضه وأن يعود إلى تقويم المرحلة السالفة، ليس فقط ما مجموعه خمسة عشر عامًا من الدمار الشامل ولكن التقويم لما قبل تلكم الفترة.

ولا شك أنه مع هذه المدة لا بد من أن يوجد من لا يعجبهم أن يعود لبنان آمنًا مستقرًا لأن هناك فئات وجدت من أرض لبنان أرضًا خصبة تملي على الناس من خلال مفهوماتها الملتوية؛ وتجعل من لبنان مركزًا لتصدير هذه المفهومات على مستوى العالم العربي، بل ربما على مستوى العالم نظرًا لما تتمتع به لبنان من قبول عالمي وحركة تجارية علمية وفكرية دائبة، فإذا لم يضمن هؤلاء، وهم من خارج الدائرة العربية تصدير المفهومات مع الاستقرار،

فإنهم ـ ولا شك ـ واقفون في طريق هـذا الاستقرار الذي لم ـ ولن ـ يهيئ لهم تحقيق طموحاتهم.

واستقرار لبنـان لا ينعكس على اللبنانيين فحسب، ولكنـه مع هذا ينعكس على المنطقة العـربية بأسرهـا. وليست هناك مبالغـة أو إطلاق أحكام عنـدما يقال إن استقرار لبنـان سينعكس على العالم وعلاقاتـه مع المنطقة، وسيكون لهـذا الاستقرار آثـاره على جوانب حيـويـة في المنطقة، فـرغم مرور أكثـر من خمسة عشر عـامًا على الوضع المؤسف إلا أن الجميع لا ينسـون ما للبنان من مكـانة بين العـرب من نـواحٍ شتى لا تقتصر على فـرعٍ واحـد من اهتمامـات العرب، ناهيك عن اللبنانيين أنفسهم.

٣ ـ أفغانستان... الوصول

وفي أفغـانستـان الحبيبة على قلب كـل مسلم في الشرق والـغرب يـوشك الجهاد أن يجني ثماره بعد عقد من الزمان لم يتوقع له ـ هو كذلكم ـ أن يستمر أكثر من أشهر على جمع القلة.

وحيث تشرف أفغـانستان على أن تعلن كلمـة «الله أكبر» على مـآذن كابل، وحيث يحس الآخـرون بقـرب هذا الحـدث، تجـدهم يلجأون إلى الأسـاليب المعتادة ـ هي أسـاليب ليست غريبة على الأمم التي عاشت تجـربة الاحتلال الذي يسمونـه بالاستعمار ـ أسـاليب يضمن فيها الراجع مهزومًـا أن يترك بلادًا تنتهشهـا القلاقل وتقـوم فيها الحـروب ـ وليست الحـرب ـ الأهليـة تزرع بـذور الشقـاق بين المجـاهـدين أنفسهـم، فتنـدس بينهم عنـاصـر تكـون مهمتهـا «تأجيج» هذا الشقاق قصدًا إلى أن يثبت الراجع المهـزوم للعالم ـ الرأي العام إن كان يحتـاج إلى أن يثبت للـرأي العام ـ أن هـؤلاء المجاهـدين لا يمكن أن يقيموا دولـة ولا يتصور أن يحكموا أمة وهم علـى هذه الشاكلة من «البسـاطة»

وشظف العيش ثم النزاع والتشاحن الذي لا يتناسب مع روح الجهاد التي تبناها هذا الشعب الأبي.

أما إذا تحقق لهؤلاء المجاهدين النصر ودخلوا كابل، وجلا عنهم من كانوا يزعمون أنهم مدعومون من الراجع المهزوم، وجدت جحافل المنظمات والجمعيات التنصيرية تسرع الخطى إلى كابل، والقرى والوديان باسم الإغاثة والإعانة والتطبيب والتربية والفلاحة، ولقد تهيأت اليوم أكثر من خمسين جمعية تنصيرية ـ تأخذ مكانها متفرعة في كل مكان يهمها أن تشعر الأفغان ـ وهم شعب مثل غيرهم من الشعوب من حيث الحاجة إلى مقومات الحياة ـ بأن تمسكهم بدينهم لا يتعارض مع قبولهم المساعدة من الهيئات العالمية «الدولية» المستقلة ذات الأعمال «الخيرية»!.

هم لن يدخلوا أفغانستان مفصحين عن أهدافهم فذلكم لم يحصل من قبل في أماكن مماثلة وهو لا يحصل الآن في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية، بل وأوروبا وأمريكا الشمالية؛ لأنهم يعلمون أنهم سيرفضون، ولذا فلا بد من العمل بأسلوب النفس الطويل والمظاهر الإنسانية الخادعة وخاصة مع الأفغان، ذلكم الشعب الذي يمكن أن يقبل المساعدة ولكنه لا يمكن أن يتزحزح عن إيمانه الذي كان سلاحه في النصر الذي بدت بوادره تبرز رغم المنغصات التي لا يتوقع لها ـ بإذن الله ـ أن تؤثر تأثيرًا مباشرًا في مسيرة الجهاد ما دامت النيات صادقة والقلوب نظيفة، وقد أدرك الأفغان الأحابيل التي «تحاك» لهم على المستوى الدولي الذي لا يريد لمثل هذه المسيرة أن يكون لها شأن.

● بقي شيء أخير حول فلسطين الانتفاضة، ولبنان الاستقرار، وأفغانستان الوصول وهو أن يعترف لأهل الفضل بفضلهم، وإلى الذين وقفوا مع فلسطين ولبنان وأفغانستان اعترافًا بالفضل وعرفانا بالجميل، إلى كل صادق في المبدأ

وعلى رأس الجميع، هذا البلـد الطيب وقيادتـه العربية المسلمـة، ودعوة إلى المواصلـة في الدعم والوقـوف المشرف الذي عهدنـاه وصار سمة من سمـاتنا تذكر لنا فتحمد، وكان الله في عون الجميع.

obeikandl.com